من صفات الشـرق على عهـد الاحمـرار

محمد بنيس

- 1 -

يمدون لي صوتهم من رماد المدينة من ينتشي نداءه في الصحن ؟ ينتشرون على كتفي ببارق تفتح اغنية من مواقفهم رقعة في اتجاه العيون اليهم تطير بنا الرجل حافية يقراون الحجارة بالنل يقتسمون شهادتهم وخنادقهم وقفت فجأة تحتمي بالفضاء هي الارض واسعة يصحبون الشوارع مثقلة بالغبار نشيد تمسك بالكف ها عمر بعمامته في اخضرار الرياح وتسكننا نخلة بانتظام الرصاص نعد شهيدا وتعلو الشهادة خفق النشيد . شهيد . صلاة الجنازة قد اجلت للبلاد البعيدة من يبعه الآن عنها ؟

نهرب في سلة التمر اعيننا نتهيأ للوصل بيروت عند الصباح استفاقت على وقع مطرها فتدلت جيوبا وقامت خيام على التل تسمو خفافا تسرب منها يد ويد والرصاص يؤلف بين جهات التراب ويعطي لرسم الرياح مصبا يطل على النيل نوما ويصحو على بردى وردة ويمازج بين سبو والفرات شهيد يخيط اصابعه بالتراب يفك حزام العبارة تسكن يانا اليه تالق خيطا وخلف دربا تعدد موته عند تخوم الحجاز ووجدة خالط في سره لغة تنتهي النداء وترحل في سعة المعجزة .

- 2 -

رأيت دمشق تجرفها فلول النار لم تكذب عيوني ها هي الاسماء تكشف عن سلالتها رأيت دمشق تهوى في بقاع

آلاقهر قلت الآن يهوى نصف هذا الشرق ينحل البريق
وتصدق الرؤيا رأيت دمشق طوقها العساكر حولوا أسوارها
بابا مشرعة على بردى فجئت بما تحصن من حنايا الصوت
ناديت الشبابيك ارتميت على سواقي الماء يتبعني
البكاء رجوتها بالله لم تسمع لصائحة تعالت من بلاد
الغرب طفت بها رأيت دمشق غازية وما كذبت عيوني
هاجرتها الكف قلت الآن يصعد من سلالتنا الغزاة
تعلقت
قدمي بتل الزعتر الممهور في بيروت وارتطمت حكايا الامس
بالبارود تساقطت عند الخروج ثغور أرض الشام واحدة
فواحدة حضرت صلاتها ظهرا بعين الشق بالبيضاء ما
فرطت في أهلي ولا احللت غيرهم الحروف ثم سقطت
ثانية وفي صدرى مقدمة رثيت بها صديقا ظل يهجس
بي على بعد ليورق صوتنا في السر والنجوى .

ـ 3 ـ

شدني عمر اليه وأيقظ المنشور في كتفي وسمى برزخا
وجهي وما ان قمت خاطبني بقامته وسمرته وعين لم ترافق
غير أهل الحق في الاسرار جهرا أقبل الاحباب واكتملت
شروط الحضرة التفتت الى يد يظل الريف يعمرها
وغسان على سيارة بعد النجاة بصحبة المهدى من قال
ان صديقنا عبد اللطيف يفر من قضبانه صحوا ويرحل
راكبا ظهر البراق ليلتقي غب المغيب بثلة الاحياء من
شعبي لعل الحضرة الكبرى تتم اليوم في كهف تبارك
عمقه ومحيطه عمر يرافقني وفي قلبي توهج صوته
قوسا يفيض مساحة حمراء أوصاني بأحبابي ولما
هم كفي بالسقوط ترجلت قسماته وأعاد لي صوتي وجملني
ورافقني الى صحوى .

ـ 4 ـ

تكدست الشوارع لم يعد فصل
وجدت النور يسبقني ويركض بي
هنا قد حلت البيضاء في بيروت
وتم ظهور عكا في أزقة فاس وانفجرت على اعتابها الكلمات
فكيف نقول بالفصل الذى عجت به سوق السماسرة اللصوص

وكيف نرف في بغداد اجنحة ولا تسعى للقياها وتبصر اسمك العربي يذبح ترفع الاشلاء نازفة على طلق الرصاص وتعرض الامعاء مفخرة من الشباك والاموات يمنع دفنها لم تبق غير فلول رجع القصف تخرق ما تبقى من تباريح الهواء الاذن كيف تنام تسترخي أبو رقراق يجرى باتجاه حبال هذا الشفق في الخرطوم يطلع من متاه الصمت والنسيان فاتحة مجلجلة ترسب في مفازتها خطوط شهادة القتل الذى سوى بلاد الشام مقبرة وسمى كل رأس عانقته الارض زندقة

أحبك عند تسميتي

وها عمر بتل

الزعتر الوردى يصحب فيلق العمال يصرخ في مقدمة الرجال تقدموا فتقدموا ثبتت شهادتهم وهذا الاسم يجمعنا جناحا ريشه ماء

لعل القتل حين يقوم أو تغشى الصدور

دوائر السفك العديدة تنهض الذكرى وتاسر في مراكبها عيونا سافرت واستنفرت شوقا اليكم أيها الاحياء لا نبكي سقوط التل في البيضاء .

- 5 -

وارتب الاعضاء اجمعها اضمدها لارميها مع الاحباب في نفق تفتح من قرون الذبح واختمرت به خيل الصعاليك ارتويت به ارتميت مع الذين اتوا ببرنوس يؤلف بينهم لون العمامة والتراب تسابقت عرباتنا وتقدمت فالحرب قائمة على شبرين من قدمي تمتد من رأس الخليج وتفرغ البارود في بيروت كل النوافذ نخلة ترتج فيك النهاب نخاعي الشوكي هذا الرأس يركب صحوة اللغيا تدلت من أصابعنا دوالي الرعب تقذف كتلة العين التي انفجرت تشهينا مقدمة من الاصوات منتصبة

بيروت يا بيروت يا بيروت

علمتنا الانسان ينشر درعه المفلول حبا او يموت

جمعت فيك ظفار والخرطوم

نصبت يافا شاهدا

واوت اليك حمامة من مارس الهوشوم

ويشدني غمر الصدى
يغشى محيط الاذن يرحل في المدى
في البدء يلفح جلدى المتشقق الاليف
تدخل في مدار الفصل ينهشني توالي
الصوت يقترب العظام تحس حد الموت
والموسى تريد الصوت يحفر في سطوح
الكلس مجراه الاليف ويحتمي بالقشرة
السفلى يفرخ في منم الصلب حمى
الوصل يعلوني هدير جامح
ارضي
تقسخني المسافة
تعبر الانواء جمجمتي وتكبر في التراب مساحة حمراء
تسطع بالورود تلف وجهي زغردات الفتح تحملني سمعت
عظامه تهوى غماما فاجانتي غربة عمر على ارض وغسان
على ارض تجاوبت الشهادة هل يظن الموت أنك ترحل
حل فينا السر أنت التل في البيضاء أنت التل في بيروت
خاطبني بقامته وسمرته وعين لم ترافق غير أهل الحق
في الاسرار غادر قبره بعمامة خضراء جملني وصاحبني
الى بيروت .

الهجرة الى المدن السفلى

شعر

عبد الله راجع